بـــأنّ الـــشِّـــعْـــرَ لَـــيـــسَ لَـــهُ مَـــرَدٌ
إذا وَرَدَ الـــمِـــيَـــاهَ بـــهِ الـــتِّـــجـــارُ

لَوْلا ابنُ وَرْقَاء

كان رهط الحارث بن ورقاء قد بَلَغَهم ما قال فيهم زهير، بسبب أسرهم راعي إبله، وطالبوه بقتله، إلّا أن الحارث أبى ذلك فكساه ورده إلى زهير. فقال يمدحه ويذم رهطه من بني نوفل:

[من البسيط]

أبْـلِـغْ بَـنـي نَـوْفَـلٍ عَـنّـي وَقَـدْ بَـلَـغـوا
مِـنّـي الـحَـفـيـظَـةَ لـمّـا جـاءَنـي الـخَـبَـرُ[١]
ألـقـائِـلِـيـنَ: يَـسَـاراً لا تُـنَـاظِـرُهُ
غِـشّـاً لـسَـيّـدِهـمْ فـي الأمْـرِ إذْ أمـرُوا[٢]
إنّ ابـنَ وَرْقَـاءَ لا تُـخْـشَـى غَـوَائِـلُـهُ
لـكِـنْ وَقـائِـعُـهُ فـي الـحَـرْبِ تُـنـتَـظَـرُ[٣]
لَـوْلا ابـنُ وَرْقَـاءَ والـمَـجـدُ الـتّـلـيـدُ لَـهُ
كـانـوا قَـلـيـلاً فَـمـا عـزّوا ولا كـثُـرُوا[٤]

(١) بنو نوفل: هم من بني أسد ورهط الحارث بن ورقاء. الحفيظة: الغضب.
(٢) لا تناظره: لا تؤخره، أي أقتله.
(٣) الغوائل: مفردها غائلة، وهي الشر والحقد.
(٤) التليد: القديم.

أَلْـمَـجْـدُ فـي غَـيْـرِهِـمْ لَـوْلا مَـآثِـرُهُ
وَصَـبْـرُهُ نَـفْـسَـهُ وَالـحَـرْبُ تَـسْـتَـعِـرُ[١]

أَوْلـى لَـهُـمْ ثـمّ أَوْلـى أَنْ تُـصِـيـبَـهُـمُ
مِـنّـي بَـوَاقِـرُ لا تُـبْـقـي وَلا تَـذَرُ[٢]

وَأَنْ يُـعَـلَّـلَ رُكْـبـانُ الـمَـطـيّ بِـهِـمْ
بـكـلّ قـافِـيَـةٍ شَـنْـعَـاءَ تَـشْـتَـهِـرُ[٣]

لاَ تَزُرْنِي!

قال لأم ولده كعب:

[من الوافر]

وقـالـتْ أُمُّ كَـعْـبٍ: لا تَـزُرْنـي
فَـلا وَاللَّـهِ مـا لَـكَ مِـنْ مَـزَارِ[٤]

رَأَيْـتُـكَ عِـبْـتَـنـي وَصَـدَدْتَ عـنّـي
وكـيـفَ عَـلَـيـكَ صَـبـري واصـطـبـارِي[٥]

---

(١) المآثر: ما يؤثر عن الإنسان من أفعال كريمة. تستعر: تتّقد.
(٢) أولى لهم: تعني التهديد والوعيد. البواقر: المصائب.
(٣) المقصود، أن قصائد الهجاء الشنيعة فيهم والمشهورة بالشر، سيتعلّل بها الركبان حيثما يحدون الإبل.
(٤) أمّ كعب: هي كبشة بنت عمّار من بني غطفان زوجة الشاعر وأم ولده كعب بن زهير.
(٥) المعنى، وهو تابع للبيت السابق إنما تزورني لتعيبني وتهجرني وتصدعني لأنها ليست زيارة مودة ورغبة، فكيف أصبر على هذه الحال! والاصطبار: تكلف الصبر.